أُسس إيمانية لتحقيق أمن الأمة واستقرارها

قراءة في رسائل النور لبديع الزمان النُورسي

Faith Foundations to Achieve the Nation's Security and Stability

Spotlight on Rasa'el ALnour, by Badi ALZaman ALNorassi

إعداد: أ.د/ فيروز عثمان صالح
الأستاذ بقسم الدراسات الإسلامية
كلية الآداب – جامعة الخرطوم

ملخص البحث: تسعى رسائل النور لحل المشكلات (المادية والمعنوية) التي تُواجه إنسان اليوم من خلال نظرة رشيدة للكون والحياة، وتُعَدُّ مشكلات العنف والإرهاب والعداوة من المشكلات التي تُهدد أمن الأمة والبشرية جمعاء . ومن هنا تأتي أهمية هذه الدراسة، إذ تعالج هذه القضية الإنسانية المُلحّة والشائكة. وقد اجتهد الأستاذ سعيد النُّورسي في تشخيص الداء ثم شرع في وضع الحلول العملية، فأرجع السبب الحقيقي وراء تلك المشكلة إلى الفكر الإلحادي والثقافة المبنية على المنفعة الشخصية، والمدنية الخالية من القيم المعنوية، لذا فقد أكّد الأستاذ النُّورسي على ضرورة إنقاذ الإيمان وحفظه الذي هو أُس الأساس للمحبة والأخوة والتعاون، وكذا دعا إلى التمسك بالقيم المعنوية المستخلصة من الوحي الإلهي، مُنبّهاً إلى أنّ المسألة الأساسية في هذا الزمان هو الجهاد المعنوي، والسعي لإقامة السد المنيع أمام التخريبات المعنوية وإعانة الأمن الداخلي بكل قوة وبشكل إيجابي بنَّاء. وكذلك تكررت الدعوة في رسائل النور للإتحاد المحمدي الذي يربط الأمة بسلسلة نورانية تكون حصناً وسداً أمام التفرّق والخصومة و العنف والعداء.

Abstract

Rasa'el ALnour (Messages of the light) are seeking to solve the material and moral problems that face people today through a rational view towards the universe and life. Violence, terrorism and enmity are among the problems that threaten the security of the nation and the whole humanity. Thus, the importance of this study is stemmed from here, as it addresses this human complicated and critical issue. Ustaz/ Saeed ALNorassi has worked hard in diagnosing the disease then initiated practical solutions, referring the real cause behind this problem to atheistic thought and culture which are based on personal benefit, as well as urbanization lacking moral values. So, Ustaz/ ALNorassi emphasized the need to save faith and maintain it, which is considered as the basis for love, fraternity and cooperation. He also called for adhering to the moral values derived from the divine revelation, warning that the main issue at this time is the struggle, and endeavor to establish invincible fort in face of moral distortions as well as strongly, constructively and positively assisting the internal security. Rasa'el ALnour also called for to Muhammadan Union, which links the Ummah (nation) with a spiritual chain that would be a safeguard and a fort against division, rivalry, violence and hostility.

الكلمات المفتاحية: العنف، الفكر الإلحادي، الجهاد المعنوي، الوحي الإلهي، التعاون.

الحمد لله القائل (فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) [1] والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين الذي كانت سُنَّته بياناً للقرآن، وسيرته تنزيلاً له على الواقع لإقامة المجتمع الرشيد الآمن المطمئن، وعلى آله وصحبه الأخيار وبعد:

إن عالم اليوم قد تفاقمت مشكلاته وأزماته، وبات بائساً يائساً لا حيلة له، يئن من وطأة الفوضى والتنازع والسفه والقلق وانعدام الأمن والأمان والطمأنينة والسلام، وغيرها من المعضلات العويصة والعلل الاجتماعية، فالبرغم من ضخامة المنجزات العلمية والتكنولوجية، ورغم وسائل الراحة المادية إلا أنها لم تمنح عالم اليوم سعادة مستمرة ولا طمأنينة بل ربما زادت من رحابة البؤس الروحي واليأس، وزادت من قتام أفق أمله، وضاعفت من مساحات الحيرة والقلق والخوف.

كان الأستاذ النُّورسي يُدرك – والحال هكذا – أنّ الأمة أمام خيارين: إما المجاهدة والكفاح لإعادة الأمور إلى نصابها وإحياء الأمة وتصويب مسيرتها، وإما الخلود إلى الراحة والدعة والذي يعني الاستسلام للفناء والموت الأبدي. واختار الأستاذ الخيار الأول وأخذ على عاتقه واجب إعادة الأمور إلى نصابها أسوة بالعلماء الربانيين المصلحين المُجَددين. فالمجتمع الذي يتصدى قادته وعلماؤه لمهمة المراجعة والنقد الذاتي، والتقويم، ومحاصرة الفساد وإصلاح مكامن الخلل، هو مجتمع ينعم أفراده بالأمن والأمان والطمأنينة والسلام والاستقرار، قال تعالى: (فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) [2] ، وقال جلّ في علاه (فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) [3] ، فمن آمن واتّقى وأصلح في عمله، نفى الله عنه الخوف والحزن ، وفي مقابل ذلك – أي الترغيب في الإيمان والعمل الصالح تحقيقاً للأمن والسعادة– فإن القرآن الكريم يُنذر المجتمعات التي تتقاعس عن مواجهة الفساد، وإن لم تُشارك في صناعة الفساد، باضطراب أحوالها وبأنه سوف ينال تلك المجتمعات نصيب من الفتنة، والخوف، والاضطراب، والفوضى والبلاء. قال تعالى: (" وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) [4] أي اتّقوا فتنة تتعدى الظالم، فتصيب الصالح والطالح، ولا تختص إصابتها بمن يباشر الظلم منكم[5].

إنقاذ الإيمان هو المقصد الأساس لرسائل النور لحل أزمات الأمة وإصلاحها:

---

(1) سورة الأنعام، الآية 48.
(2) سورة الأنعام، الآية 48.
(3) سورة الأعراف، الآية 35.
(4) سورة الأنفال، الآية 25.
(5) محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار ابن كثير، دمشق، ط2، 1998م، ج2، ص342.

أدرك الأستاذ النُّورسي وقد أخذ على عاتقه مسؤولية الإصلاح ومجابهة الفساد، وتسديد وتصويب مسار الأمة والخروج بها من واقعها المؤلم ، وخلاص الإنسانية التي افتقدت وأضاعت الروح والمعنى في قلبها لا يتم إلا باستعادة مصدر قوة الروح وذلك بإنقاذ الإيمان وتحقيق العبودية الخالصة لله، حتى تبقى تلك الروح منفتحة ومقبلة على الخير والفضيلة والصلاح وعمارة الأرض، لذا فقد انطلق الأستاذ في مشروعه النهضوي، من إحياء الإيمان وإصلاح المجتمع على أسس إيمانية دفعاً لها إلى مراقي الكمالات الإنسانية، إذ كان – رحمه الله– يُدرك ويعي أن أي مشروع إصلاحي يتخذ من الإيمان ركيزة وقاعدة هو في حد ذاته قوة، تتولد عنها (انبعاثات شتى) على صعيد وحدات الحياة كلها، وتصبغها بألوان الطمأنينة والسكينة والأمن والأمان والسلام.

لذا فإن رسائل النور أخذت على عاتقها وتحمّلت مسؤولية ومهمة تحفيز المجتمع روحياً وفكرياً، وإعداده لمنازلة الظلم والقهر والغبن والفوضى والخراب، فالرسائل كما يؤكد الأستاذ "جعلت المسألة الأساسية في هذا الزمان، إقامة السد المنيع أمام التخريبات المعنوية، وإعانة الأمن الداخلي بكل ما تملك من قوة"[1]

كذلك يؤكد أن "العلاج الوحيد لإنقاذ الأمة.. في هذا العصر من الفوضى والإرهاب ومن التردي المريع والتدني الرهيب هو أسس رسائل النور" [2] ويقول: "إن خدمتنا تؤسس الأمن والاحترام فتسعى لإنقاذ النظام والأمن والحياة الاجتماعية من الفوضى والإرهاب " [3]. فمقصد رسائل النور وعملها "هو لتحقيق السعادة والسلامة "[4] وذلك " بالخدمة الإيمانية البنّاءة "[5]

غياب الأمن والسلام مَرَده إلى ضلال البشرية وتراجع إيمانها:

يؤكد الأستاذ النُّورسي أنّ ضلال البشرية وغياب الإيمان والهدى في قلب الإنسانية هو سبب البلايا ولا سيما الحروب وانعدام الأمن وغياب السلام إذ يقول في الكلمات:" إن ضلال البشرية وعنادها النمرودي وغرورها الفرعوني، تضخّم وانتفش حتى بلغ السماء ومسّ حكمة الخلق، وأنزل من

---

(1) بديع الزمان سعيد النُّورسي ، كليات رسائل النور، سيرة ذاتية، إعداد وترجمة: إحسان قاسم الصالحي، سوزلر للنشر، استانبول، (د.ت)، ج9، ص505.

(2) بديع الزمان سعيد النُّورسي، كليات رسائل النور، الملاحق" في فقه دعوة النور" ترجمة: إحسان قاسم، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط1، 1995م، ج7، ص159.

(3) المرجع نفسه، ج7، ص60

(4) النُّورسي، كليات رسائل النور، الملاحق، ترجمة: إحسان قاسم، ج7، ص233.

(5) النُّورسي، كليات رسائل النور، سيرة ذاتية، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ج9، ص505.

السموات العلا ما يشبه الطوفان والطاعون والمصائب والبلايا... تلك هي الحرب العالمية الحاضرة، إذ أنزل الله سبحانه وتعالى لطمة قوية على النصارى بل على البشرية قاطبة، لأن أحد أسبابها التي يشترك فيها الناس كلهم هو الضلال الناشئ من الفكر المادي، والحرية الحيوانية، وتحكم الهوى. أما ما يعود إلينا من سبب فهو: إهمالنا أركان الإسلام وتركنا الفرائض"[1] ويقول في الملاحق:" إن رسائل النور أثبتت اثباتاً قاطعاً: أن الكفر والضلالة، تحقير عظيم للكائنات وظلم شنيع للموجودات، ووسيلة لرفع الرحمة الإلهية ونزول المصائب والبلايا " [2]

ففي ظل التخريبات الرهيبة والخوف والرعب والقلق والاضطراب الذي تعاني منه البشرية يرى الأستاذ أن أوجب الواجبات هو إنقاذ الإيمان إذ يقول: " لقد أنزلت العدالة الإلهية بالمدنية الدنية التي أهانت الإسلام عذاباً أليماً ومعنوياً ارداها إلى درك الوحوش الجاهلين ... فلقد اذاقتهم العدالة الإلهية ذلك الخوف الرهيب وقذفت على رؤوسهم قنابل الرعب والرهبة والقلق والاضطراب. إنّ ألزم شيئ في مثل هذا الوقت وأجدى عمل وأجدر وظيفة هو إنقاذ الإيمان.." [3]

لذا فإن رسائل النور تقرر أن أهل الضلالة الذين "لا يكترثون بالأعراف الشعبية والإسلامية .. يسوق تسعون بالمائة منهم هذا الوطن والأمة – بنفوسهم الأمارة بالسوء– إلى فوضى ضارب أطنابها " [4].

ويحذّر الأستاذ النُّورسي من أنه إن لم يتم التبني " للحقائق القرآنية والإيمانية بدل إضعاف الروح الدينية فإن العالم الإسلامي سيُقهر أمام الفوضى والإرهاب الذي يتستر تحت ستار الكفر المطلق الذي يسعى لإبادة العالم الإسلامي " [5].

المسلم الحقيقي والمؤمن الصادق لا يؤيد الفوضى والإرهاب:

إذن فقد أدرك الأستاذ النُّورسي بنظره الثاقب أن الضلالة والإلحاد والكفر هي بمثابة التربة التي تحتضن بذور شجرة الفتنة التي تُثمر ثمار الفوضى والدمار والهلاك والإرهاب والعنف، ويرى أن إنقاذ الإيمان هو الكفيل بانتشال البشرية من هذا الوضع الرهيب " فالمسلم الحقيقي والمؤمن

---

(1) بديع الزمان سعيد النُّورسي، كليات رسائل النور، الكلمات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط3، 1998م، ج1، ص859.
(2) بديع الزمان سعيد النُّورسي، كليات رسائل النور، الملاحق، ترجمة: إحسان قاسم ج7، ص124.
(3) المرجع نفسه، ج7، ص114.
(4) النُّورسي، كليات رسائل النور، الملاحق، ترجمة: إحسان قاسم ، ج7، ص234.
(5) المرجع نفسه، ج7، ص304.

الصادق لا يكون مؤيداً للفوضى والتخريب، والدين يمنع الفتنة والفوضى بشدة، لأنّ الفوضى لا تعترف بحق من الحقوق، وتقلب سجية الإنسانية وآثار الحضارة إلى سجية الحيوان المتوحش" [1].

وقد أصاب الأستاذ فالنبي عليه الصلاة والسلام قد شهد بالخيرية لمن رجت خيره وأمنت شره البرية فقال "خيركم من يُرجى خيره، ويؤمن شره، وشركم من لا يرجى خيره، ولا يؤمن شره"[2]. وشهد عليه أفضل الصلاة والسلام في مقابل ذلك بكمال الإسلام والإيمان لمن سَلِمَ الناس من بطشه ووحشيته وأشاع بين الناس الأمن والأمان والسلام فقال: " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم " [3]

فالمعيار في تحقق الإيمان هو مدى ما يُثمر عنه من عمل إيجابي يحقق سلامة المجتمع المسلم ويحفظ أمنه وأمانه، لذا فإن الأستاذ النُّورسي كان يُلقّن طلابه درساً إيمانياً مفاده: أنه لابد من" القيام بالخدمة الإيمانية البنّاءة والتي تُثمر الحفاظ على الأمن والاستقرار الداخلي" [4].

ويمضي الأستاذ النُّورسي فيربط بين المسألة الأمنية والإيمان فيقول: "إن المسلم لا يشبه غيره، فالذي يحل ربقته من الدين ليس أمامه إلا الضلالة المطلقة فيصبح فوضوياً إرهابياً، ولا يمكن دفعه إلى الولاء بالإدارة والنظام " [5] ويؤكد كذلك رحمه الله "أن المسلم يختلف عن أفراد الأمم الأخرى، إذ لو تخلى عن دينه فلا يكون إلا إرهابياً فوضوياً لا يقيده شيء أياً كان" [6]

لذا يدعو الأستاذ إلى الاعتصام بحقائق القرآن للسلامة من المخاطر الأمنية والإلحاد، إذ يقول في الملاحق :"إن أخطر شيىء في هذا الزمان هو الإلحاد والزندقة والفوضى والإرهاب، وليس تجاه هذه المخاطر إلا الاعتصام بحقائق القرآن "[7].

---

(1) النُّورسي، كليات رسائل النور، سيرة ذاتية، إعداد وترجمة: إحسان قاسم ، ج9، ص481.

(2) الترمذي، أبو عيسى محمد بن علي بن سورة، الجامع الصحيح، تحقيق: أحمد محمد شاكر وكمال يوسف الحوت، دار الفكر، بيروت، ط1، 1987م، كتاب الفتن، رقم 2189 وقال: حديث حسن صحيح، الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت) ج8، ص183.

(3) البخاري، ابو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ضبط وترقيم وفهرسة: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط4، 1990م، كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، ج1، ص13، رقمه 10.

(4) النُّورسي، كليات رسائل النور، سيرة ذاتية، إعداد وترجمة: إحسان قاسم، ج9، ص505.

(5) النُّورسي، كليات رسائل النور، الملاحق، ترجمة: إحسان قاسم، ج7، ص234.

(6) المرجع نفسه، ج7، ص306.

(7) النُّورسي، كليات رسائل النور، الملاحق، ترجمة: إحسان قاسم، ج9، ص344.

وكذلك فإن رسائل النور تؤكد أن مشكلات العالم " والأزمة الخانقة الذي يمر بها العالم والقلق المعنوي... يُجابه بأسس الإيمان الحيوية لمجتمع قلعة الإيمان، فقلعة الإيمان لا تُسند بأعمدة الكفر النخرة " [1]

وتقرر الرسائل أن الحياة الآمنة المطمئنة تتحقق في الحياة الدنيا بل والآخرة للإنسان إذا صرف عمره في أنشطة وأعمال مشروعة، إذ يقول الأستاذ في الكلمات:" أما إذا صرف- الإنسان- رأسمال عمره ضمن الدائرة المشروعة فسوف يكون نشاطه وعمله ضمن دائرة فسيحة رحبة جداً تمتد إلى الحياة الأبدية الخالدة، وسيعيش سالماً آمناً مطمئناً" [2] وأنه لا محالة " يُبْحِر بالإيمان متفرجاً على سفينة الحياة في خضم أمواج الأحداث العاتية بكمال الإيمان والسلام"[3]

الصدق خاصة الإيمان ورأسه وأساس الإسلام وعامل تحقيق الأمن والاستقرار:

تحذر رسائل النور من الكذب الذي بات رائجاً ولا سيما في الميدان السياسي وتقرر" أن المسافة بين الصدق والكذب أصبحت لا تتجاوز الإصبع فكلاهما يباعان في سوق واحدة "[4] ولا سيما أنّ " الدعايات السياسية قد أعطت أحياناً رواجاً أكثر للكذب، فبرز الكذب والفساد في الميدان السياسي"[5].

وتربط رسائل النور بين الكذب والمسألة الأمنية فتؤكد أنّ" انعدام الأمن والاستقرار في الوقت الحاضر بالكذب الرهيب الذي تقترفه البشرية بتزييفها وافتراءاتها "[6]، وتقرر أن" الكذب هو الذي خرّب الأخلاق العالية... وبه انتشر السُمُّ في الإسلام... وبه اختلت أحوال نوع البشر"[7] ونبّه النُّورسي إلى أن اتّخاذ المصلحة والضرورة مطية للكذب وهو سبب انعدام الأمن وانفلات النظام " فما ترى من الهَرْج والمَرْج في حال العالم شاهد على غلبة ضرر عذر المصلحة "[8].

---

(1) النُّورسي، كليات رسائل النور، سيرة ذاتية، ترجمة: إحسان قاسم، ج9، ص491.
(2) النُّورسي، كليات رسائل النور، الكلمات، ترجمة: إحسان قاسم، ج1، ص365.
(3) المرجع نفسه، ج1، ص352.
(4) بديع الزمان النُّورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة وتحقيق: إحسان قاسم، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط1 ،1995م، ج8، ص 143.
(5) بديع الزمان النُّورسي، من كليات رسائل النور، الخطبة الشامية، ترجمة: إحسان قاسم، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، ط6، 2009م، ص 85.
(6) المرجع نفسه، ص60.
(7) بديع الزمان النُّورسي، كليات رسائل النور، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تحقيق: إحسان قاسم، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط3، 1999م، ج5، ص 97.
(8) المرجع نفسه، ج5، ص 97.

وإزاء هذه الشرور وانعدام الأمن وغيابه بسبب الكذب يرى الأستاذ النُّورسي ضرورة قيام البناء الاجتماعي ونظام العالم الإسلامي على أساس الصدق الذي هو رأس الإيمان وأس أساسه إذ يقول في إشارات الإعجاز :" الصدق هو أساس الإسلامية، وهو خاصة الإيمان، بل الإيمان صدق ورأسه.. وهو الرابط لكل الكمالات.. وهو الحياة للأخلاق العالية.. وهو محور ترقي الإنسان.. وهو نظام العالم الإسلامي" [1] لذا دعا الأستاذ في الخطبة الشامية إلى تمثل الصدق في حياتنا الاجتماعية قائلاً:" علينا أن نُحيي الصدق الذي هو حجر الزاوية في حياتنا الاجتماعية في نفوسنا ونداوي به أمراضنا المعنوية " [2] وأبعد من ذلك أكّد – رحمه الله– أن شرط استقامة الحياة واستقرارها هو تحقق الإيمان والصدق ودوامه، إذ يقول في صيقل الإسلام " إن بقاء حياتنا مرهونة بدوام الإيمان والصدق والتساند " [3].

أُسس المدنية الشرعية تحقق الأمن والسلام بخلاف المدنية الحاضرة:

يؤكد الأستاذ النُّورسي أن أُسس المدنية الشرعية (مدنية القرآن) هي أُسس إيجابية ينشأ عنها السلام والأمن والطمأنينة والسعادة والاتحاد والتساند والأُخُوّة والرقي المادي والمعنوي، بينما تقوم المدنية الحاضرة (المدنية الغربية) على أُسس سلبية ينشأ عنها الاعتداء والتجاوز والتخاصم والتنازع والتصادم والشقاء والهلاك والدمار وتشويه الإنسان والإنسانية ومسخهما مسخاً معنوياً، إذ يقول في الكلمات:" إن أُسس المدنية الحاضرة سلبية وهي أُسس خمسة تدور عليها رحاها. فنقطة استنادها: القوة بدل الحق، وشأن القوة الاعتداء والتجاوز والتعرض، ومن هذا تنشأ الخيانة.

ودستورها في الحياة: الجدال والخصام بدل التعاون، وشأن الخصام: التنازع والتدافع، ومن هذا تنشأ السفالة.

رابطتها الأساس بين الناس: العنصرية التي تنمو على أساس غيرها، وتتقوى بابتلاع الآخرين وشأن القومية السلبية والعنصرية: التصادم المريع وهو المشاهد. ومن هنا ينشأ الدمار والهلاك.

---

(1) النُّورسي، كليات رسائل النور، إشارات الإعجاز، تحقيق: إحسان قاسم، ج5، ص 97.
(2) النُّورسي، من كليات رسائل النور، الخطبة الشامية، ترجمة: إحسان قاسم، ص 55.
(3) النُّورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام ، ترجمة: إحسان قاسم، ج8، ص 417.

وخامستها: هي أنّ خدمتها الجذابة، تشجيع الأهواء والنوازع، وتذليل العقبات أمامهما، وإشباع الشهوات والرغبات. وشأن الأهواء والنوازع دائماً: مسخ الإنسان، وتغيير سيرته، فتتغير بدورها الإنسانية وتمسخ مسخاً معنوياً...

أما أسس مدنية القرآن الكريم، فهي إيجابية تدور سعادتها على خمسة أسس إيجابية:

نقطة استنادها: الحق بدل القوة، ومن شأن الحق دائماً: العدالة والتوازن. ومن هذا ينشأ السلام ويزول الشقاء.

وهدفها: الفضيلة بدل المنفعة، وشأن الفضيلة: المحبة والتقارب، ومن هذا تنشأ السعادة وتزول العداوة.

دستورها في الحياة: التعاون بدل الخصام والقتال، وشأن هذا الدستور: الاتّحاد والتساند اللذان تحيا بهما الجماعات.

وخدمتهما للمجتمع: بالهدى بدل الأهواء والنوازع، وشأن الهدى: الارتقاء بالإنسان ورفاهه إلى ما يليق به مع تنوير الروح ومدّها بما يلزم.

رابطتها بين المجموعات البشرية: رابطة الدين والانتساب الوطني وعلاقة الصنف والمهنة وأُخُوّة الإيمان.. وشأن هذه الرابطة: أُخُوّة خالصة، وطرد العنصرية والقومية السلبية. وبهذه المدنية يعم السلام الشامل، إذ هو في موقف الدفاع من أي عدوان خارجي"[1]

ويؤكد الأستاذ النُّورسي أنّ المدنية الحاضرة دفعت بغالب البشرية إلى أحضان الشقاء، وأن سعادة هذه المدنية المموّهة الزائفة هي لأقل القليل من الناس، بخلاف المدنية الشرعية التي تضمن سعادة الجميع، لذا فإن الوحشية والجرائم والعنف والإرهاب الذي تولّد عن هذه المدنية يفوق جميع القرون السابقة، إذ يقول في الكلمات :" إن المدنية الحاضرة ... صارت سماً زعافاً للإنسانية بدلاً من أن تكون لها ترياقاً شافياً؛ إذ ألقت ثمانين بالمائة من البشرية في شقاء، لتعيش عشرة بالمائة منها في سعادة مزيفة، أما العشرة الباقية فهم حيارى بين هؤلاء وهؤلاء... والقرآن الكريم النازل رحمة للعالمين لا يقبل إلا طرازاً من المدنية التي تمنح السعادة للجميع أو الأكثرية... إن مجموع ما ارتكبته البشرية

(1) النُّورسي، كليات رسائل النور، الكلمات، ترجمة: إحسان قاسم، ج1، ص 855-856. وانظر أيضاً في: بديع الزمان النُّورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة: إحسان قاسم، ج8، ص357-359.

من مظالم وجرائم وخيانات في القرون الأولى، قاءتها واستفرغتها هذه المدنية الخبيثة مرة واحدة. وسوف تصاب بالمزيد من الغثيان في قابل أيامها [1]."[2]

ونلحظ هنا أن الأستاذ النُّورسي يربط بين الأمن والسعادة فالأمن شرط لتحقق سعادة البشرية وطِيب عيشها. وقد أصاب الأستاذ إذ إنّ بسط الأمن في الأوطان دعوة دعا بها إبراهيم عليه الصلاة والسلام، إذ قال فيما حكاه الله عنه في القرآن (رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا) [3] فالمقصود بالبلد: مكة المكرمة، إذ دعا لأهله من ذريته وغيرهم أن يجعله آمناً أي ذا أمن[4] . وفي موطن آخر قال (رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ) [5] إلحاحاً منه في الدعاء لاستتباب الأمن.

ونراه عليه السلام " قدّم طلب الأمن على سائر المطالب المذكورة بعده لأنه إذ انتفى الأمن لم يفرغ الإنسان لشيء آخر من أمور الدين والدنيا "[6] ومن جهة أخرى فإنّ " أمن البلاد والسبيل يستتبع جميع خصال السعادة والحياة الكريمة، ويقتضي العدل والعزة والرخاء، إذ لا أمن بدونها، وهو يستتبع التعمير والإقبال على ما ينفع " [7].

لذا فقد جعلها الرسول صلى الله عليه وسلم إحدى ركائز السعادة والحياة الطيبة الثلاث، بل قدّمها على سائر الركائز، إذ قال عليه الصلاة والسلام:" من أصبح منكم آمناً في سربه[8]، معافىً في جسده، عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها " [9]

لذا ففي ضوء هدى القرآن والسُنّة يرى الأستاذ النُّورسي أن أُسس المدنية الحديثة بما يتولد عنها من وحشية وجرائم وعداء وعنف ودمار هي سبب شقاء الإنسانية، بينما مدنية القرآن تكفل

---

(1) بمعنى أنها ستتقيأ قيئاً أشد وأفظع .نعم! . لقد قاءت واستفرغت بحربين عالميتين حتى لطخت بالدم البر والبحر والهواء، الكلمات، ج1، ص857. هامش (1).

(2) المرجع نفسه، ج1، ص856 -857.

(3) سورة البقرة، الآية 126.

(4) القرطبي، أبو عبد الله محمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1935م، ص117، الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1995م.ج3، ص140.

(5) سورة إبراهيم، الآية 35.

(6) الشوكاني، فتح القدير، ج3، ص140.

(7) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، ج1، ص715.

(8) السرب، بكسر السين هو النفس، وبفتحها: المسلك والطريق: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم، لسان العرب، دار صادر ، بيروت، ط3، 1944م. ج1، ص462، الفيروزآبادي، مجد الدين بن يعقوب، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995م، ج1، ص108.

(9) ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1994م، كتاب الزهد، باب القناعة، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، المكتب الإسلامي، ط1، 1986م، ج2، ص399. رقمه 3340.

السعادة المتدثرة بثياب الأمن والسلام لغالبية البشرية إن لم يكن كلها. " فالقرآن لا يرضى بمدنية لا تضمن سعادة الجميع"[1]

عدالة القرآن تحفظ حق الحياة ولا تضحي بحياة برئ واحد:

ويمضي الأستاذ النُّورسي في التنبيه إلى الأُسس الإيمانية الكفيلة بتحقيق الأمن والأمان والسلامة للمجتمعات الإنسانية، فيلفت النظر في رسائله المنَوَّرة إلى ظلم السياسة الحاضرة التي تضحي بالأكثرية في سبيل الأقلية، وتُهدر دم الأبرياء، بينما عدالة القرآن الكريم لا تُهدر دم برئ واحد لأي شيء كان، ولا حتى لأجل البشرية كافة، فالفرد والجماعة سواء في نظر العدالة الإلهية، فضلاً عن ذلك فإنه لو قتل شخص فاسد مغرور بريئاً واحداً ظلماً فإنه يصبح في وضع يؤهله لتدمير العالم والبشرية جمعاء إن استطاع. يقول الأستاذ في الكلمات منبهاً إلى هذه الحقيقة:" إن سياسة المدنية الحاضرة تضحي بالأكثرية في سبيل الأقلية، بل تُضحي قلةٌ قليلة من الظلمة بجمهور كبير من العوام في سبيل مقاصدها. أما عدالة القرآن الكريم فلا تُضحي بحياة برئ واحد، ولا تهدر دمه لأي شيء كان، لا في سبيل الأكثرية، ولا لأجل البشرية قاطبة. إذ الآية الكريمة (مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا)[2] تضع سرّين عظيمين أمام نظر الإنسان:

الأول: العدالة المحضة، ذلك الدستور العظيم الذي ينظر إلى الفرد والجماعة والشخص والنوع نظرة واحدة، فهم سواء في نظر العدالة الإلهية مثلما أنهم سواء في نظر القدرة الإلهية. وهذه سُنّة دائمة. إلا أنّ الشخص يستطيع– برغبة من نفسه – أن يُضحي بنفسه، من دون أن يُضحّى به به قطعاً، حتى في سبيل الناس جميعاً. لأن إزهاق حياته وإزالة عصمته وهدر دمه بإبطال حق الناس جميعاً شبيه بإزالة عصمتهم جميعاً وهدر دمائهم جميعاً.

والسر الثاني: هو لو قتل مغرورٌ بريئاً دون ورع، تحقيقاً لحرصه وإشباعاً لنزواته وهوى رغباته، فإنه مستعد لتدمير العالم والجنس البشري إن استطاع"[3]

---

(1) اورخان محمد علي، سعيد النُّورسي رجل القدر في حياة أمة، دار الفضيلة، القاهرة، (د.ت)، ص98، النُّورسي، كليات رسائل النور، الكلمات، ترجمة: إحسان قاسم، ج1، ص856.

(2) سورة المائدة، الآية 32.

(3) النُّورسي، كليات رسائل النور، الكلمات، ترجمة: إحسان قاسم، ج1، ص862.

وعدالة القرآن هذه التي أشار إليها الأستاذ النُّورسي– التي تحفظ حق الحياة للفرد والجماعة على حد سواء ولا تهدر دم برئ واحد– أيضاً أكّدت عليها السنة الشريفة فقد قال نبينا الأكرم عليه الصلاة والسلام: " لزوال الدنيا أهون على الله عز وجل من سفك دم مسلم بغير حق " [1]

التضحية بالأفراد من أجل سلامة الأمة والجماعة والوطن منبع الجرائم البشعة والدمار والهلاك:

يؤكد الأستاذ النُّورسي أن القانون البشري الأساس في حاضرنا: هو التضحية بالأفراد من أجل سلامة الأمة والجماعة والوطن قانون ليس له ضابط معيّن، لذا فقد أفلت الساسة المتلاعبين من عقالهم، فاستعملوه بكثرة باسم المصلحة العامة، فنجم عن ذلك فظائع وجرائم لم تعرف البشرية نظيراً لها، إذ يقول في الملاحق:" إن القانون الأساس للسياسة البشرية هو: يُضحى بالأفراد من أجل سلامة الأمة، وتُفدى بالأشخاص حفاظاً على الجماعة. ويُرخص كل شيء في سبيل حماية الوطن. فجميع الجرائم البشعة التي ارتكبت في البشرية إلى الآن إنما ترتكب بالاستعمال السيِّئ لهذه القاعدة ولهذا القانون الأساس، فلقد تيقنت من هذا يقيناً قاطعاً. فهذا القانون البشري الأساس ليس له حدّ معين ولا ضوابط مخصصة، لذا فقد مهّد السبيل للتلاعب باستعماله بكثرة " [2]

ويضرب الأستاذ مثلاً لذلك بما حدث في الحربين العالميتين من إبادة لأبرياء باسم المصلحة، وتدمير لمكتسبات الإنسانية وإرثها من التمدن والرقي، إذ يقول:" إن الحربين العالميتين قد نشبتا من سوء استعمال هذا القانون الأساس، فأبادت نهائياً ما توصلت إليه البشرية من رقي منذ ألف سنة، كما سمح هذا القانون بأخذ تسعين بريئاً بجريرة عشرة من الجناة، وأفتى بإبادتهم، كما سمح بتدمير قصبة كاملة لجريمة مجرم واحد، لأغراض شخصية مستترة تحت اسم المصلحة العامة " [3]

ثم يصف الدواء لذلك السم الزعاف فيدعو لاستبدال تلك القاعدة المدمرة منبع الجرائم والهلاك بقانون أساس للقرآن الكريم نازل من العرش الأعظم، إذ يقول " ولقد وجدت عوضاً عن هذا القانون البشري الأساس الغادر، القانون الأساس للقرآن العظيم النازل من العرش الأعظم وذلك في الآيتين الآتيتين:

([1]) البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، شُعب الإيمان، تحقيق: محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410هـ، ج4، ص344 برقم 5341.

([2]) النُّورسي، كليات رسائل النور، الملاحق، ترجمة: إحسان قاسم، ج7، ص376.

([3]) المرجع نفسه، ج7، ص377.

(وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) [1].(مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا) [2] . فهاتان الآيتان تُعلّمان القاعدة الجليلة الآتية:

لا يؤاخذ أحد بجريرة لشخص آخر، ثم إن البرئ لا يُضحى به – حتى من أجل جميع الناس– دون رضاه، ولكن لو ضحى بنفسه بإرادته وبرضاه فتلك مرتبة الشهادة: هذه القاعدة الجليلة هي التي تُرسي العدالة الحقة في البشرية " [3]

ويقرر الأستاذ "أن المدنية الحاضرة الغربية، لسلوكها طريقاً مناقضاً لأسس دساتير السماء وقيامها بمناهضتها، فقد طفح كيلُ سيئاتها على حسناتها،... واضطرب أمن الناس واطمئنانهم، وأُقلقوا وأُسِنت سعادتهم الحقيقية" [4]

ويعود ويصف هذا القانون الأساس للمدنية الحاضرة في موضع آخر بأنه" يُفني سعادة البشرية وراحتها وعدالتها وسلامتها " [5] وأنه قانون " يجعل الأُخُوّة والمحبة والمواطنة التي هي ركائز الاتّفاق والاتّحاد هباءً منثوراً " [6]

ثم يعود ويُنبّه إلى عدالة القرآن الكريم في مقابل ذلك القانون الوحشي فيؤكد" أن القانون العادل الحق والدستور السماوي المقدس وهو الآية الكريمة (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) [7] الذي يحقق المحبة والأُخُوة الصادقة وينقذ الأمة الإسلامية والبلاد من المخاطر... فلا يكون أحد شريكاً في جناية ارتكبها آخر ولو كان أخوه وعشيرته وطائفته وحزبه،... فما لم يؤخذ هذا الدستور قانوناً أساساً فإن المجتمع البشري سيتردى برجعية وحشية إلى أسفل سافلين مثل الدمار الفظيع الذي ولدَّته الحربان العالميتان"[8] ويضيف قائلاً: " إن لطلاب القرآن وخدّامه إزاء هذه المخاطر الفظيعة لهذه الرجعية الوحشية مئات من قوانين القرآن الأساسية من أمثال (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) [9] الذي يحقق العدالة الحقة والاتّحاد والأُخُوّة[10] لذا يلزم لأهل السياسة الذين يسعون للحفاظ على سلامة البلاد ومصالحها وإرساء النظام أن يأخذوا هذه الحقيقة بنظر الاعتبار"[11].

---

(1) سورة الأنعام، الآية 164.
(2) سورة المائدة، الآية 32.
(3) النُّورسي، كليات رسائل النور، الملاحق، ترجمة: إحسان قاسم، ج7، ص377.
(4) المرجع نفسه، ج7، ص377.
(5) النُّورسي، كليات رسائل النور، الملاحق، ترجمة: إحسان قاسم، ج7، ص 373.
(6) المرجع نفسه، ج7، ص373.
(7) سورة الأنعام، الآية 164.
(8) النُّورسي، كليات رسائل النور، الملاحق، ترجمة: إحسان قاسم، ج7، ص 374.
(9) سورة الأنعام، الآية 164.
(10) النُّورسي، كليات رسائل النور، الملاحق، ترجمة: إحسان قاسم، ج7، ص 374
(11) المرجع نفسه، ج7، ص375.

الفكر القومي السلبي قوة مشؤومة تهدد حياة البشرية وتعزز ثقافة العنف:

إسهاماً منه– رحمه الله– في التنبيه والدعوة للأسس الإيمانية والقرآنية التي تكفل الأمن والأمان والسلامة والطمأنينة للأمة فإنه يُلفت النظر في رسائل النور إلى "الدساتير المقدسة التي هي أساس التعاون الإسلامي والتي هي هدايا سماوية من القرآن الكريم، توثق الرابطة بين المسلمين، وهي: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)[1]، (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا) [2](وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) [3]

ويرى الأستاذ النُّورسي أن التباين بين البشر في صفات معينة– كاللون والجنس والثروة– هو مدعاة للتعارف والتعاون، فاستناداً إلى قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا)[4] يقرر النُّورسي: أن الانقسام إلى طوائف وقبائل – كما تُعلنه الآية الكريمة – ما هو إلا للتعارف والتعاون لا للتناكر والتخاصم" [5]، وعند تجاوز مرامي الآية الكريمة– ينشأ الشعور القومي السلبي كما يؤكد الأستاذ " من الحرص على العرق والجنس الذي يسبب التناكر والتعاند "[6]، فالقومية والعنصرية هي:" فكرة أو اعتقاد أو سلوك يقوم على الفصل بين الناس، أو شعور بالتفوق على الآخرين تدعمه السلطة والقوة، وتبرره صفات خاصة موجودة عند البعض ومحروم منها الآخرون، كاللون والجنس، والثروة والجاه " [7].

ونبّه الأستاذ النُّورسي في المكتوبات إلى أنّ الفكر القومي فيه " ذوق للنفس، ولذة تُغفل، وقوة مشؤومة "[8] لذا فمن العسير أن" يقال للمشتغلين بالحياة الاجتماعية في هذا الوقت: دعوا القومية!"[9]

ثم بيّن الأستاذ أن القومية نفسها على قسمين " قسم منها مشؤوم مُضِر، يتربى وينمو بابتلاع الآخرين ويدوم بعداوة من سواه... وهذا يولد المخاصمة والنزاع... والثاني القومية الإيجابية وهي نابعة

---

(1) سورة الحجرات، الآية 10.
(2) سورة آل عمران، الآية 103.
(3) سورة الأنفال، الآية 46.
(4) سورة الحجرات، الآية 13.
(5) بديع الزمان النُّورسي، كليات رسائل النور، المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط1، 1992م، ج2، ص414.
(6) النُّورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة وتحقيق: إحسان قاسم، ج8، ص 335.
(7) محمد عبابنة، العنصرية وعلاجها من منظور تربوي إسلامي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، كلية الشريعة، 2004م، نقلاً عن عماد عبد الله الشريفين، المؤتمر العالمي التاسع لبديع الزمان، العلم والإيمان والأخلاق لأجل مستقبل أفضل للإنسانية، ورقة بعنوان: العنصرية والقومية السلبية من خلال كليات رسائل النور، استانبول، 2010م. ص746.
(8) النُّورسي، كليات رسائل النور، المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم، ج2، ص 414.
(9) المرجع نفسه، ج2، ص414.

من حاجة داخلية للحياة الاجتماعية، وهي سبب للتعاون والتساند " [1] لذا فقد أكّد في الكلمات أن القومية السلبية هي: "منشأ الدمار والهلاك " [2]، وقرر في السانحات من صيقل الإسلام " أنها تنمو على حساب الآخرين، وهذه شأنها التصادم "[3] فمنبع العنف هو "التعصب العنصري والأنانية " [4] كما حذرت الشعاعات من رسائل النور.

ويؤكد الأستاذ النُّورسي أنّ العداء والحقد والشقاق والتنافر الناتج من الفكر القومي " ترفضه الحقيقة والحكمة ويرفضه الإسلام الذي يُمثل روح الإنسانية الكبرى، فضلاً على أن العداء ظلم شنيع يُفسد حياة البشرية: الشخصية والاجتماعية والمعنوية، بل هو سم زعاف لحياة البشرية قاطبة"[5].

ويُحذّر الأستاذ النُّورسي ويُنبّه إلى " أن إنماء روح العداء إزاء المواطنين– في البلاد– هلاك وأيّ هلاك وضرر وبيل"[6] " فالتباغض والتنافر بين عناصر الإسلام وقبائله– بسبب من الفكر القومي– هلاك عظيم، وخطب جسيم... ونظر هؤلاء بعضهم لبعض نظرة العداء مصيبة كبرى لا توصف، بل أنه جنون أشبه بجنون من يهتم بلسع البعوض ولا يعبأ بالثعابين الماردة [7] التي تحوم حوله "[8].

وينحو الأستاذ بالتحذير من العداء الناجم عن القومية السلبية منحىً إيمانياً فيؤكد" أن العداء للإخوان في الدين، وبدوره العداء للإسلام، إنما يمس القرآن، ...، لذا فادّعاء الغيرة القومية بنية خدمة المجتمع يهدم حجر الزاوية للحياتين معاً، فهي حماقة كبرى وليست حمية وغيرة قطعاً"[9]

والفكر القومي في أصله نوع من التعصب والأنانية والغرور والانحياز الأعم والعناد، " والعناد يلزم أحياناً المغالين في التعصب الضلال والباطل"[10]. والله تعالى يقول: (إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) [11] " فميل الإنسان نحو الظلم لا يُحَد لا سيما إذا انضمت إلى ذلك الميل الأشكال الخبيثة

---

(1) النُّورسي، كليات رسائل النور، المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم، ج2، ص 414 – 415.
(2) النُّورسي، كليات رسائل النور، الكلمات، ترجمة: إحسان قاسم، ج1، ص 855.
(3) النُّورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة وتحقيق: إحسان قاسم، ج8، ص 357.
(4) بديع الزمان النُّورسي، كليات رسائل النور، الشعاعات، ترجمة: إحسان قاسم، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط1، 1993م، ج4، ص346.
(5) النُّورسي، كليات رسائل النور، المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم، ج2، ص 339، بديع الزمان النُّورسي، من كليات رسائل النور(12)، الإخلاص والأُخُوّة، ترجمة: إحسان قاسم، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، ط5، 2008م ، ص 415.
(6) النُّورسي، كليات رسائل النور، المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم، ج2، ص 415.
(7) أشار الأستاذ بذلك إلى أطماع أوروبا التي لا تفتر ولا تشبع كالثعابين الضخمة الفاتحة أفواهها للابتلاع. المرجع نفسه، ج2، ص415.
(8) النُّورسي، كليات رسائل النور، المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم، ج2، ص415.
(9) المرجع نفسه، ج2، ص415.
(10) النُّورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة وتحقيق: إحسان قاسم، ج8، ص363 .
(11) سورة إبراهيم، الآية 34.

للأنانية كالإعجاب بالنفس وتحري المصلحة الشخصية والكِبَر والفساد والغرور، تتولد جرائم بشعة لم تجد لها البشرية اسماً " [1].

فالعنصرية والقومية السلبية لا تعرف الحق والعدل إذ تقوم على أساس ظالم، وهي دعوى جاهلية تجاوزها الإسلام، يقول الأستاذ النُّورسي في المكتوبات:" إن الأسس المتبعة في القومية والعنصرية أسس ظالمة لا تتبع العدالة ولا توافق الحق، إذ لا تسير تلك الأسس عل وفق العدالة، لأن الحاكم العنصري يفضل من هم بنو جنسه على غيرهم، فأنّى له أن يبلغ العدالة، بينما الإسلام يَجُبُّ ما قبله[2] من عصبية جاهلية، لا فرق بين عبد حبشي وسيد قرشي إذا أسلما... إذ لا تكون هناك عدالة قط وإنما تُهدر الحقوق ويضيع الإنصاف "[3]

لذا فلا عدالة ولا إنصاف ولا حق ولا أمن ولا أمان ولا سلام يمكن أن تنعم به المجتمعات الإنسانية دون تجاوز النزعات العنصرية والعصبيات الجنسية التي وصفها النُّورسي بأنها السم القاتل[4] والداء الخبيث[5] والمرض الوبيل[6].

رسائل النور تؤكد على الأُخُوّة الإنسانية والأُخُوّة الإيمانية دفعاً للتنازع والاختلاف والعنف:

جاء الإسلام لتصحيح الأفكار الباطلة والأوضاع المعوجة للمجتمعات الإنسانية، والتي في مقدمتها العصبية والعنصرية التي كانت سبباً يحول دون توحد الناس وتعارفهم وتعاونهم، وسبباً في التنازع والاختلاف المُفضي إلى افتقاد عنصر الأمن والأمان والطمأنينة والوئام، لذا فقد نهى صلى الله عليه وسلم عن العصبية والتحيّز والتعاند والتبعية العمياء قائلاً: " ليس مِنّا مَنْ دعا إلى عصبية وليس مِنّا مَنْ قاتل على عصبية وليس مِنّا مَنْ مات على عصبية "[7]

---

(1) النُّورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة وتحقيق: إحسان قاسم، ج8، ص363- 364.

(2) رُوي أن عمرو بن العاص قال: قلت يا رسول الله أُبايِعك على أن تغفر لي ما تقدّم من ذنبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الإسلام يَجُبُّ ما كان قَبْلَهُ ... " أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، مسند أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، مصر، (د.ت)، ج4، ص204، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبوبكر البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، 1994م، ج9، ص123.

(3) النُّورسي، كليات رسائل النور، المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم، ج2، ص68.

(4) المرجع نفسه، ج2، ص79.

(5) النُّورسي، كليات رسائل النور، المكتوبات، ترجمة وتحقيق: إحسان قاسم، ج2، ص79.

(6) المرجع نفسه، ج2، ص79.

(7) سليمان بن الأشعث أبو داؤود السجستاني الأزدي، سنن أبي داؤود، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، (د.ت). ج4، ص332. يقول المناوي في معرض شرحه للحديث: " ليس منا من دعا إلى عصبية" أي من يدعو الناس إلى الاجتماع على عصبية وهي معاونة الظالم. "وليس منا مَنْ قاتل على عصبية وليس منا مَنْ مات على عصبية" قال ابن الأثير، العصبي الذي يغضب لعصبته ويحامي عنهم، والتعصب المدافعة والمحاماة. انظر: الإمام الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي، التيسير بشرح الجامع الصغير، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، ط3، 1988م،ج2، ص 330.

وأكّد عليه الصلاة والسلام بأقواله وأفعاله على وحدة الأصل الإنساني وعلى أن المفاضلة بين إنسان وآخر وقوم وآخرين هو التقوى إذ يقول عليه أفضل الصلاة والسلام كما روى مسلم في صحيحه:" أيها الناس، ألا إنّ ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأسود على أحمر، ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى "[1]، وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم:" كلكم لآدم وآدم خلق من تراب"[2].

فالإسلام مجتمع كبير يمتد حتى يشمل الإنسانية كلها بجميع أجناسها وألوانها ولغاتها في كل أرض وفي كل مكان وفي كل زمان، لذا فإن الأستاذ النُّورسي يقرر:" أنه بسر الإيمان والتوحيد يرى أُخُوّةً بين كل الكائنات، وأُنسية وتحبباً بين أجزائها لا سيما بين الآدميين، ولا سيما بين المؤمنين، ويرى أُخُوّةً في الأصل والمبدأ والماضي، وتلاقياً في المنتهى، والنتيجة في المستقبل"[3].

إذن فالأُخُوّة الإنسانية المستندة على وحدة الأصل تستوجب التعاون والمساندة الذي هو دستور عمل الكون" فإنه ما من شيّئ في هذا العالم إلاّ وكأنه يتطلع إلى الآخر فيغيثه، أو يرى الآخر فيشد من أزره ويعاونه ... فيكمل الواحد عمل الآخر، ... ويتوجه الجميع جنباً إلى جنب في طريق الحياة "[4]

وإذا تقرر أن أجزاء الكون تُظهر تحبباً وأنُسيةً وتسانداً وتعاوناً فلابد أن يتحقق ذلك بين مكونات المجتمع البشري، أي شعوبها وقبائلها وأقوامها، ولا يتحقق ذلك بداهة إلاّ بتجاوز الفكر القومي والتمييز العنصري والتعصب العرقي، وكل ما مِن شأنه أن يولّد العنف والعداء والكراهية.

الانقسام والتنازع بين المسلمين مهدّد أمني ومرض اجتماعي فتّاك:

إن المجتمعات الإنسانية ولاسيما الإسلامية لا يمكن أن يُكتب لها الاستقرار وأن تهنأ بالأمن والطمأنينة في ظل الانقسام والفرقة والتنازع وقد وصف الأستاذ النُّورسي اختلاف المسلمين وتفرقهم وانقسامهم بالواقع الأليم والمرض الفتاك، وأكّد أن السبيل لتغيير هذا الداء العضال هو الاسترشاد

---

(1) أحمد بن حنبل الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج5، ص411، عبد الله بن المبارك بن واضح، مسند الإمام عبد الله بن المبارك، تحقيق: صبحي البدري السامرائي، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1407هـ، ج1، ص147.

(2) الربيع بن حبيب بن عمر الأزدي البصري، الجامع الصحيح، مسند الإمام الربيع بن حبيب، تحقيق: محمد إدريس، عاشور بن يوسف، دار الحكمة، مكتب الاستقامة، بيروت، سلطنة عمان، ط1، 1415هـ. ج1، ص170.

(3) بديع الزمان النُّورسي، كليات رسائل النور، المثنوي العربي النّوري، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، القاهرة، ط4، 1999م، ج6، ص181.

(4) النُّورسي، كليات رسائل النور، الكلمات، ترجمة: إحسان قاسم. ج1، ص317.

بنور القرآن والسُنّة، إذ يقول في اللمعات – على سبيل المثال – :" وطريق النجاة من هذا الواقع الباطل الأليم، والتخلص من هذا المرض الفتاك، مرض الاختلاف الذي ألمّ بأهل الحق هو اتّخاذ النهي الإلهي في الآية الكريمة: (وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) [1] واتّخاذ الأمر الرباني في الآية الكريمة (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى) [2]. دستورين للعمل في الحياة الاجتماعية"[3]

فالحياة في نظر رسائل النور لا تستقيم دون الوحدة والاتّحاد والتساند وتفقد الجماعة مذاقها، ذلك " أن الحياة نتيجة الوحدة والاتّحاد، فإذا ذهب الاتّحاد المندمج الممتزج، فالحياة المعنوية تذهب أدراج الرياح، فالآية الكريمة: (وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) [4] تشير إلى أنّ التساند والترابط إذا اختل تفقد الجماعة مذاقها"[5]. لذا فإن الأستاذ النُّورسي يؤكد في رسالة الأُخُوة " أن الإيمان بعقيدة واحدة يستدعي حتماً توحيد قلوب المؤمنين بها على قلب واحد، ووحدة العقيدة هذه تقتضي وحدة المجتمع "[6] حيث لا يعرف التحيّز والعداوة والكراهية طريقاً إلى مثل هذا المجتمع، " فالإيمان يؤسس الأُخوة بين كل شيئ، ولا يشتد الحرصُ والعداوةُ والحقدُ والوحشةُ في روح المؤمن، إذ بالدقة يرى أعدى عدوّه نوع أخ له..."[7]. قد أصاب النُّورسي بتلك العبارة وأحسن القول " فالعقيدة الروحية التي بيّنها القرآن الكريم ينعكس نورها على الحياة الاجتماعية وهذا سر قوة الإسلام وسماحته ووحدته "[8] وأمنه وأمانه.

ويصف الأستاذ النُّورسي بقاء الاختلاف بين المسلمين رغم الدوافع التي ينبغي أن تدفعهم إلى الوحدة– كالخطر الخارجي– "بأنه تدهور مخيف وانحطاط مفجع وخيانة بحق الإسلام والمسلمين"[9] لذا فإن رسائل النور تطالب بوحدة المسلمين إذ " لا قيمة للجماعة المسلمة بلا اتحاد"[10] وتؤكّد أن

---

(1) سورة الأنفال، الآية 46.
(2) سورة المائدة، الآية 2.
(3) بديع الزمان النُّورسي، كليات رسائل النور، اللمعات، تحقيق: إحسان قاسم، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط1، 1993م، ج3، ص235.
(4) سورة الأنفال، الآية 46.
(5) النُّورسي، كليات رسائل النور، الملاحق، ترجمة: إحسان قاسم ، ج7، ص58.
(6) النُّورسي، كليات رسائل النور، المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم، ج2، ص341، النُّورسي، من كليات رسائل النور(12) الإخلاص والأخوة، ترجمة: إحسان قاسم، ص64.
(7) النُّورسي، كليات رسائل النور، المثنوي العربي النوري، تحقيق: إحسان قاسم، ج6، ص158.
(8) العبارة للكاتب مارسيل كابي، نقلاً عن: عمر عودة الخطيب، المسألة الاجتماعية بين الإسلام والنظم البشرية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، 1980م، ص193.
(9) النُّورسي، كليات رسائل النور، المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم ، ج2، ص249.
(10) وحيد الدين خان، الدين الكامل، الرسالة للإعلام الدولي، مصر، ط1، 1992م، ص55.

"الأُخُوّة الإسلامية هي جوهر حياة المسلمين وروحهم "[1] فالوحدة تحول بين الأمة والانطفاء والزوال يقول الأستاذ النُّورسي في صيقل الإسلام:" إن حماية سلسلة الإسلام النورانية وتقوية رابطته التي تجعل المسلمين – بسر الأُخُوَّة الإيمانية– كياناً واحداً... هي وحدها "نقطة الاستناد" وهي وحدها " نقطة الاستمداد"... إن قطرات ولمعات النور كلما بقيت متفرقة وظلّت متناثرة، جَفّت بسرعة وأنطفأت حالاً فينادينا رب العزة سبحانه قائلاً: (وَلَا تَفَرَّقُوا) [2](لا تَقْنَطُوا) [3] ليحول بيننا وبين الانطفاء والزوال"[4].

وتقرر رسائل النور أنه لا وسيلة لإنقاذ البشرية من ويلات الإرهاب والعنف والفوضى والدمار إلا بوحدة المسلمين، ذلك " أنه لا يصمد أمام هذا الدمار الرهيب إلا وحدة المسلمين المنبثقة من حقائق القرآن، فمثلما تكون هذه الوحدة وسيلة لإنقاذ البشرية من بلاء الفوضى والإرهاب فإنها تنقذ هذه البلاد أيضاً من سيطرة الأجانب وتُنجي الأمة من مغبة الإرهاب، بل لا منقذ لها إلا هذه الوحدة "[5]

وقد أرسل الأستاذ النُّورسي رسالة إلى المسؤولين تنبيهاً لهم بأن الوحدة الإسلامية هي العلاج تجاه الإرهاب والفوضى، وذلك في عهد حكومة الحزب الديمقراطي[6] وقد أيّد بديع الزمان تركيا في انضمامها لحلف بغداد عام 1955م، وكتب خطاباً هاماً يُهنئ فيه الرئيس جلال بيار ورئيس الوزراء مندرس ويبلغهما تأييده [7] وكان ممّا قال: إنه قضى خمساً وخمسين سنة من عمره لتحقيق المسألة، ومن وسائله لتحقيق الوحدة تأسيس مدرسة الزهراء، فهذه الجامعة الإسلامية، سوف تكون هي وسيلة لتحقيق السلام الشامل والتصالح على عدة مستويات، وازدهار العمل بالدستور القرآني، القائل (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)[8] [9]

---

(1) النُّورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة وتحقيق: إحسان قاسم ، ج8، ص356.
(2) سورة آل عمران، الآية 103.
(3) سورة الزمر، الآية 53.
(4) النُّورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة وتحقيق: إحسان قاسم ، ج8، ص392.
(5) الاتحاد الإسلامي، مقتطفات من كليات رسائل النور لبديع الزمان سعيد النُّورسي، (د.ن)، (د.ت) ص9-10.
(6) أنظر تفصيل ذلك في: النُّورسي، كليات رسائل النور، الملاحق، ترجمة: إحسان قاسم. ج7، ص415.
(7) المرجع نفسه. ج7، ص415 – 419.
(8) سورة الحجرات، الآية 10.
(9) انظر تفصيل ذلك في: إبراهيم أبو ربيع، الإسلام على مفترق الطرق، رحلة في حياة وفكر بديع الزمان سعيد النُّورسي، ترجمة: محمد فاضل، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، ط1، 2005م، ص51.

وأبعد من ذلك فقد قرر الأستاذ النُّورسي أن الوحدة الإسلامية هي: " أوجب الفرائض في هذا الوقت "[1] لذا فقد كانت الدعوة في رسائل النور مُلَّحةً إلى نبذ الخلافات والعداء والعنصرية سعياً لتحقيق الوحدة الإسلامية أو ما أسماه النُّورسي الاتّحاد المحمدي[2] على أساس وحدة الدين.

القيام بالعمل والخدمة الإيمانية البناءة من أجل الحفاظ على الأمن والاستقرار الداخلي:

إن المقصد العام للشريعة الإسلامية هو عِمارة الأرض وحِفظ نظام التعايش فيها وصلاحها بصلاح المستخلفين فيها[3] لذا " فإن جلب المنفعة ودفع المضرة مقاصد الخلق، وصلاح الخلق في تحصيل مقاصدهم "[4] لذا يقول النُّورسي في الدرس الأخير الذي ألقاه – رحمه الله– قبل وفاته على طلبة النور:" إن وظيفتنا هي العمل الإيجابي البنّاء وليس السعي للعمل السلبي الهدام، والقيام بالخدمة الإيمانية ضمن الرضى الإلهي... إننا مكلفون ... بالقيام بالخدمة الإيمانية البنّاءة التي تثمر الحفاظ على الأمن والاستقرار الداخلي" [5] .

ولضرورة القيام بعِمارة الأرض والأخذ بأسباب الترقي والتحضر في حياة الخلق ومصالحهم، يُعَدُّ ترك الناس لها كما يؤكد الإمام الشاطبي مدعاة لانخرام النظام[6].

لذا فإنّ الاستخلاف في الأرض في نظر الأستاذ النُّورسي يعني القدرة على العمارة والإصلاح، لا على الهَدْم والإفساد، والقدرة على تحقيق العدل والطمأنينة، لا على الظلم والقهر، والقدرة على الارتفاع بالنفس البشرية والنظام البشري، لا على الانحدار بالفرد والجماعة إلى مدارك الحيوان[7]

فالإيمان الذي هو شرط تأهل الإنسان لخلافة الله في الأرض، والذي يستغرق النشاط الإنساني كله (الروحي والعقلي والفكري والبدني) لا يتجّسد في الواقع المنظور إلا إذا أبرزه العمل الصالح البنّاء.

---

(1) النُّورسي، من كليات رسائل النور، الخطبة الشامية، ترجمة: إحسان قاسم، ص99.

(2) دعا الأستاذ النُّورسي إلى الاتحاد المحمدي والرجوع إلى الشريعة ونبذ الخلافات وقد أعلن عن ذلك الاتّحاد عام 1909م ضمن احتفال مهيب في جامع أيا صوفيا، النُّورسي، من كليات رسائل النور، الخطبة الشامية، ترجمة: إحسان قاسم، ص104. نقلاً عن المترجم، لمزيد من التفصيل انظر: النُّورسي، كليات رسائل النور، سيرة ذاتية، إعداد وترجمة: إحسان قاسم، ج9، ص112.

(3) علال الفاسي، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء، المغرب، ص42.

(4) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، المستصفى من علم الأصول، دراسة وتحقيق: حمزة بن زهير حافظ، شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر، (د.ت) ج2، ص481.

(5) النُّورسي، كليات رسائل النور، سيرة ذاتية، إعداد وترجمة: إحسان قاسم، ج9، ص 505.

(6) إبراهيم بن موسى الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، دار المعرفة، بيروت، ط2، (د.ت)، ص41- 42.

(7) أ.د. تيسفيتان تيوفانوف، ندوة: سؤال الأخلاق في مشروع النُّورسي، ورقة بعنوان:" الإنسانية وتحديات العصر في نظرية سعيد النُّورسي" المغرب، سوزلر للطباعة والنشر، استانبول، 2008م، ص13-14.

لذا كانت دعوة الأستاذ النُّورسي إلى العمل الصالح البنّاء القائم على أسس إيمانية والذي أطلق عليه (الخدمة الإيمانية البنّاءة) عريضة في رسائل النور، وخاصة في درسه الأخير، وتركيزه على هذه المسألة التي تُعين على الحفاظ على أمن وأمان واستقرار البلاد، يدل على عظيم حكمته ونظره الثاقب وحسن ترتيبه للأولويات، فكأنما أراد الأستاذ بذلك أن يُنبّه إلى أن غاية رسائل النور ومقصدها الأساس هي الخدمة الإيمانية، ووظيفة طلاب النور هي العمل الإيجابي البنّاء. لذا نجده يردد:" إنّ في مسلكنا قوة، إلا أننا لم نقم باستعمالها إلا في تأمين الأمن الداخلي" [1]، ويقول:" إنني لم انحنِ تجاه التحكم والتسلط منذ القِدم وهذا ثابت بكثير من الحوادث، فمثلاً عدم قيامي للقائد العام الروسي، وكما أنني لم أعر أية أهمية على أسئلة الباشوات في ديوان المحكمة العسكرية العرفية الذين كانوا يهددوني بالشنق والإعدام ... إنني قابلت المعاملات الشائنة بحقي منذ ثلاثين سنة الأخيرة بالرضى والقبول، ذلك من أجل السعي للعمل الإيجابي والاجتناب عن السعي للعمل السلبي ... لأن المسألة الأساسية في هذا الزمان هو الجهاد المعنوي، وإقامة السد المنيع أمام التخريبات المعنوية، وإعانة الأمن الداخلي بكل ما نملك من قوة"[2].

الجهاد المعنوي لمجابهة التخريبات المعنوية وتحقيق الأمن الداخلي:

يؤكد الأستاذ النُّورسي أن مسلك رسائل النور "دفاع لا اعتداء، تعمير لا تخريب"[3] ويُنبّه مراراً أن مسلك القوة الذي يمتلكه طلاب النور لا يمكن استعماله إلا ضد الهجمات الخارجية أما التخريبات المعنوية الداخلية وتأمين الأمن الداخلي فيُجَابه بالعمل الإيجابي البناء وبكل ما يمتلكون من قوة [4]

ويمضي الأستاذ النُّورسي في تعزيز مبدأ العمل الإيجابي لتأمين وتحقيق الاستقرار والأمن الداخلي من خلال التنويه والتنبيه والتأكيد في مواضع عديدة من الرسائل أنّ هذا هو مسلكه ومسلك طلاب النور الأقوياء، الذين أصبحت قوتهم الإيمانية سبباً في الحفاظ على الأمن الداخلي والاستقرار إذ يقول على سبيل المثال في درسه الأخير:" قد أحسن إليّ المولى سبحانه وتعالى بملايين من الطلاب الحقيقيين ، فنحن نقوم بالعمل الإيجابي البنّاء بكل ما نملك من قوة في سبيل تأمين الأمن الداخلي

(1) النُّورسي، كليات رسائل النور، سيرة ذاتية، إعداد وترجمة: إحسان قاسم، ج9، ص 505.
(2) المرجع نفسه. ج9 ص 505.
(3) النُّورسي، كليات رسائل النور،الملاحق، ترجمة: إحسان قاسم، ج7، ص 129.
(4) انظر تفصيل ذلك في: النُّورسي، كليات رسائل النور، سيرة ذاتية، إعداد وترجمة: إحسان قاسم، ج9، ص 505- 506.

"[1] ويقول رحمه الله في الملاحق:" لقد تحقق أن رسائل النور وطلابها هم كأفراد أمن معنويين، يحاولون الحفاظ على الأمن والنظام في البلاد عن عقيدة، وقد نصبوا حارساً في كل قلب مؤمن بإرشاداتهم ونصائحهم، وشعر ضباط الأمن بهذا شعوراً معنوياً، فأظهروا لنا في كل وقت وجه الصداقة " [2]

لذا فيؤكد الأستاذ أنه " على الرغم من وجود قوى معنوية رهيبة تحاول الإخلال بالأمن والنظام، وعلى الرغم من فعاليتهم ونشاطهم في البلاد كافة، ...، لم يستطيعوا الإخلال بالأمن وما سبب ذلك إلاّ ستمائة ألف من نسخ رسائل النور وخمسمائة ألف طالب من طلابها، قد أصبحوا كقوة معنوية ساندة للأمن ليصدوا تلك القوى الهدامة الرهيبة "[3]

ويشهد لما قررته رسائل النور أنها معنية بإنقاذ الإيمان والتعمير وليس التخريب أحد أشهر تلامذة النُّورسي – مصطفى صنغور[4] – إذ يقول: " حاشا الأستاذ لم يُلقِنّا دروساً غير أخلاقية، ولا دروساً في فن التخريب، بل لقننا دروساً في إنقاذ الإيمان" [5]

ويؤكد الحقوقي الصحفي والكاتب الأستاذ أشرف أديب في مقاله (بعد فراق طويل) " أن كل طالب لرسائل النور محافظ طبيعي لنظام وانتظام البلاد وحارس للأمن والأمان، ولم يقع أن تسبب إنسان من طلاب النور الذين بلغوا مئات الألوف عدداً وانتشروا في أرجاء الوطن كافة في حادث مُخِل بالأمن " [6]

وأبعد من ذلك فإن الأستاذ النُّورسي لعب دوراً إيجابياً في مرات عديدة في " تهدئة المشاعر المتهيجة لدى الناس، خشية أن يُخِلّ عوام الناس النظام وأمن البلاد بمداخلتهم في السياسة" [7] ومن ذلك أنه– على سبيل المثال– قام بتهدِئة المشاعر الثائرة الجياشة للطلاب في جامع بايزيد، وفي المولد النبوي المقام في أيا صوفيا، وكذلك قام بتهدئة ثورة الناس وغضبهم في مسرح الفرح، ولولا خُطَب الأستاذ

([1]) النُّورسي، كليات رسائل النور، سيرة ذاتية، إعداد وترجمة: إحسان قاسم، ج9، ص 506.
([2]) النُّورسي، كليات رسائل النور، الملاحق، ترجمة: إحسان قاسم، ج7، ص 367.
([3]) المرجع نفسه، ج7، ص367- 368.
([4]) الأستاذ مصطفى صنغور من مواليد 1929م. لازم الأستاذ النُّورسي في الحل والترحال وتتلمذ عليه حتى بلغ " الفناء في رسائل النور" على حد وصف الأستاذ انظر: النُّورسي، كليات رسائل النور، الشعاعات، ترجمة: إحسان قاسم، ج4، ص 599 " هامش 1".
([5]) المرجع نفسه، ج4، ص600 – 601.
([6]) النُّورسي، كليات رسائل النور، سيرة ذاتية، إعداد وترجمة: إحسان قاسم، ج9، ص 490.
([7]) النُّورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة: إحسان قاسم، ج8، ص 444.

وكلماته المهدِئة لعصفت عاصفة هوجاء مضّرة بهم وبأمنهم.[1] ومن الشواهد على ذلك " تهدئته للجنود الثائرين في أحداث 31 مارت" [2]

ومن مساعيه الحميدة في الحفاظ على استقرار النظام والأمن وحفظ الدماء تأليفه بين القبائل المتنازعة، ومثال ذلك أنه في أثناء استقراره في مدينة (وان) لسنوات، والتي ذهب إليها عام 1894م، بجانب قيامه بالتدريس والإرشاد، انشغل في هذه الفترة أيضاً في السعي للصلح بين القبائل هناك، إذ كانت هذه القبائل في نزاعات مستمرة بعضها مع البعض الآخر، ممّا كان يؤدي إلى إراقة الدماء وإلى انتشار العداوة والبغضاء بينها لسنين عديدة، وكانت الإدارة العثمانية تخفق في حالات عديدة وتفشل في الصلح بين هذه القبائل بواسطة المسؤولين، ولكن (بديع الزمان) كان يستطيع بماله من محبة وتوقير لدى نفوس أبناء القبائل ورؤسائها أن ينجح في إزالة الخصومات وإرساء الصلح والتفاهم بينها[3] وبالتالي حفظ الأمن وحقن الدماء. لذلك نجده في إحدى محاكماته يؤكد أنّ تلاميذ النور وطلابها " لن يَتركُوا(رسائل النور)... حتى يضُرُّوا بذلك الترك الوطن والشعب والنظام والأمن "[4].

فرسائل النور كما يؤكد الأستاذ بجانب خدماتها الإيمانية التي تعود للآخرة "فإنها في الوقت نفسه تُقدّم خدمةً جليلة أيضاً تعود فائدتها للدنيا وإنقاذ هذه الأمة والبلاد من براثن الفوضى وإنقاذ ضعفاء الجيل المقبل من مخالب الضلالة المطلقة، لأن المسلم لا يشبه غيره، فالذي يحل ربقته من الدين ليس أمامه إلاّ الضلالة المطلقة فيصبح فوضوياً إرهابياً، ولا يمكن دفعه إلى الولاء بالإدارة والنظام "[5].

لذا نجد الأستاذ النُّورسي يُذكّر تلاميذه بأنهم لا يملكون سوى سيف النور البتار إذ يقول:" إننا نملك النور وحده، لا المطرقة والصولجان، فلا يبدر منا تعدٍ على حقوق أحد قطعاً، ولكن إذا ما أُعتدي علينا، نُظهر النور ونبيّنه، فنحن في حالة نوع من دفاع نوراني" [6]

---

(1) المرجع نفسه، ج8، ص445.
(2) انظر تفصيل ذلك في: النُّورسي، كليات رسائل النور، المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم، ج2، ص 448- 449. وانظر أيضاً: إحسان قاسم الصالحي، نظرة عامة عن حياة بديع الزمان سعيد النُّورسي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، ط1، 2010م، ص24- 27.
(3) اورخان محمد علي، سعيد النُّورسي رجل القدر في حياة أمة، دار الفضيلة، القاهرة، (د.ت) ص30. وانظر تفصيل ذلك في: النُّورسي، كليات رسائل النور، سيرة ذاتية، إعداد وترجمة: إحسان قاسم، ج9، ص 78- 79.
(4) أورخان، سعيد النُّورسي رجل القدر، ص256.
(5) النُّورسي، كليات رسائل النور، الملاحق، ترجمة: إحسان قاسم، ج7، ص 234.
(6) المرجع نفسه، ج7، ص248.

وهكذا فإنّ دعوة النور قد أثمرت وأسفرت عن جيل وعن جماعة إيمانية قادرة على عِمارة الأرض بالعمل الإيجابي البنّاء، في كل شعب الحياة وميادينها، ولا سيما ما يتصل منها بجانب الحفاظ على أمن وسلام واستقرار الأمة بل أمن وأمان وسلام المجتمع الإنساني قاطبة.

الخاتمة:

من هذه الدراسة التي تتبعت الأسس الإيمانية الكفيلة بتحقيق أمن واستقرار الأمة من خلال رسائل النور توصلت الباحثة إلى نتائج مهمة منها:

1. أنّ رسائل النور أخَذَت– في ظل تفاقم مشاكل العالم وأزماته– على عاتقها مسؤولية إعداد المجتمع المسلم لمنازلة ومغالبة الظلم والقهر والغبن والفوضى والإرهاب والخراب والدمار.
2. تؤكد رسائل النور أن ضلال البشرية وغياب الإيمان في قلب الإنسانية هو سبب البلايا وانعدام الأمن وغياب السلام. وتؤكد أن المسلم الحقيقي والمؤمن الصادق لا يؤيد الفوضى والإرهاب، فالدين والإيمان يمنعان الفتنة والفوضى بشدة.
3. ترى الرسائل أن انعدام الامن والاستقرار في زماننا سببه الكذب الرهيب الذي تقترفه البشرية بتزييفها وافتراءاتها، لذا كانت الدعوة مُلِحَّة في رسائل النور إلى الصدق، إذ هو خاصة الإيمان ورأسه وأساس الإسلام، وعامل تحقيق الأمن والاستقرار.
4. نبّهت رسائل النور إلى أسس المدنية الشرعية الإيجابية والتي ينشأ عنها السلام والأمن والطمأنينة والسعادة والاتّحاد ودعت إليها. وحذرت من أسس المدنية الحاضرة التي ينشأ عنها الاعتداء والتجاوز والتنازع والشقاء والدمار.
5. تؤكد رسائل النور أن أسس المدنية الحديثة بما يتولد عنها من وحشية وجرائم ودمار هي سبب شقاء الإنسانية، وأن القرآن لا يرضى بمدنية لا تضمن سعادة الجميع أو الأكثرية.
6. تقرر رسائل النور أن عدالة القرآن تحفظ حق الحياة ولا تضحي بحياة برئ واحد، بخلاف السياسة الحاضرة الظالمة التي تُضحي بالأكثرية في سبيل الأقلية وتُهدر دم الأبرياء.
7. ترى رسائل النور أنّ التضحية بالأفراد من أجل سلامة الأمة والجماعة والوطن– وهو القانون الأساس في حاضرنا– هو سبب الهلاك والدمار والجرائم البشعة.

8. الفكر القومي السلبي والعنصرية في نظر رسائل النور قوة مشؤومة ومعاول هدم حضاري تهدد حياة البشرية وتعزز ثقافة العنف. لذا حذرت الرسائل من هذه الداء الخبيث والمرض الوبيل ووصفت له الدواء.
9. دفعاً للتنازع والاختلاف المُفضي إلى غياب الأمن والأمان دعت رسائل النور إلى الأُخُوّة الإنسانية والأُخُوّة الإيمانية.
10. يرى الأستاذ النُّورسي أن وحدة المسلمين هي السبيل لإنقاذ البشرية والأمة من الدمار والفوضى والإرهاب والعنف، لذا أكّد أنّ الوحدة الإسلامية المنبثقة من حقائق القرآن هي أوجب الفرائض في هذا الوقت.
11. يؤكد الأستاذ النُّورسي أنّ مسلك رسائل النور دفاع لاعتداء، تعمير لا تخريب، وأنّ التخريبات المعنوية وتأمين الاستقرار والأمن الداخلي يُجابه بالعمل الإيجابي البنّاء وبالجهاد المعنوي.

التوصيات:

تُوصي الباحثة بإجراء المزيد من الدراسات والمؤتمرات التي تُسهم في حل مشكلات العالم وأزماته ولا سيما المتصلة بأمن واستقرار المجتمع الإنساني.

قائمة المراجع:

- **القرآن الكريم**

1. البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ضبط وترقيم وفهرسة: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دمشق، ط4، 1990م.
2. البيهقي: أبوبكر أحمد بن الحسين البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، 1994م.
3. الترمذي: أبو عيسى محمد بن علي بن سورة الترمذي، الجامع الصحيح، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وكمال يوسف الحوت، دار الفكر، بيروت، ط1، 1987م.
4. تيوفانوف: أ.د. تيسفيتان تيوفانوف، ندوة: سؤال الأخلاق في مشروع النُّورسي، ورقة بعنوان: "مبادئ الإنسانية وتحديات العصر في نظرية سعيد النُّورسي" المغرب، سوزلر للطباعة والنشر، استانبول، 2008م.

5. ابن حبيب: الربيع بن حبيب بن عمر الأزدي البصري، الجامع الصحيح، مسند الإمام الربيع بن حبيب، تحقيق: محمد إدريس، عاشور بن يوسف، دار الحكمة، بيروت، 1415هـ.
6. ابن حنبل: الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، مسند الإمام أحمد، مؤسسة قرطبة، مصر، (د.ت).
7. خان: وحيد الدين خان، الدين الكامل، الرسالة للإعلام الدولي، مصر، ط1، 1992م.
8. الخطيب: عمر عودة الخطيب، المسألة الاجتماعية بين الإسلام والنظم البشرية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، 1980م.
9. أبو داؤود: سليمان بن الأشعث أبو داؤود السجستاني، سنن أبي داؤود، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، (د.ت).
10. أبو ربيع: إبراهيم أبو ربيع، الإسلام على مفترق الطرق، رحلة في حياة وفكر بديع الزمان سعيد النُّورسي، ترجمة وتحقيق: محمد فاضل، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، ط1، 2005م.
11. الشاطبي: إبراهيم بن موسى الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، دار المعرفة، بيروت، ط2، (د.ت).
12. الشريفين: عماد عبد الله الشريفين، المؤتمر العالمي التاسع لبديع الزمان، العلم والإيمان والأخلاق لأجل مستقبل أفضل للإنسانية، ورقة بعنوان: العنصرية والقومية السلبية من خلال كليات رسائل النور، استانبول، 2010م.
13. الشوكاني: محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير الجامع بين الرواية والدراية من علم التفسير، دار ابن كثير، دمشق، ط2، 1998م.
14. الصالحي: إحسان قاسم الصالحي، نظرة عامة عن حياة بديع الزمان سعيد النُّورسي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، ط1، 2010م.
15. ابن عاشور: محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.
16. علي: اورخان محمد علي، سعيد النُّورسي رجل القدر في حياة أمة، دار الفضيلة، القاهرة، (د.ت).
17. الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، المستصفى من علم الأُصول، دراسة وتحقيق: حمزة بن زهير حافظ، شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر، (د.ت).
18. الفاسي: علال الفاسي، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء، المغرب.
19. الفيروز آبادي: مجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995م.

20. القرطبي: أبو عبد الله محمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1935م.
21. ابن المبارك: عبد الله بن المبارك بن واضح، مسند الإمام عبد الله بن المبارك، تحقيق: صبحي البدري السامرائي، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1407هـ.
22. ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1994م.
23. المناوي: الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي، التيسير بشرح الجامع الصغير، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، ط3، 1988م.
24. ابن منظور: ابو الفضل جمال الدين بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1944م.
25. النُّورسي: بديع الزمان سعيد النُّورسي، كليات رسائل النور(1) الكلمات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، سوزلر للنشر، استانبول، ط3، 1998م.
26. النُّورسي، كليات رسائل النور(2) المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم ، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط1، 1992م.
27. النُّورسي، كليات رسائل النور(3) اللمعات، ترجمة: إحسان قاسم ، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط1، 1993م.
28. النُّورسي، كليات رسائل النور(4) الشعاعات، ترجمة: إحسان قاسم، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط1، 1993م.
29. النُّورسي، كليات رسائل النور(5) إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تحقيق: إحسان قاسم، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط3، 1999م.
30. النُّورسي، كليات رسائل النور(6) المثنوي العربّي النُّوري، تحقيق: إحسان قاسم ، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط4، 1999م.
31. النُّورسي، كليات رسائل النور(7) الملاحق في فقه دعوة النور، ترجمة: إحسان قاسم، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط1، 1995م.
32. النُّورسي، كليات رسائل النور(8) صيقل الإسلام، ترجمة وتحقيق: إحسان قاسم، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط1، 1995م.
33. النُّورسي، كليات رسائل النور(9) سيرة ذاتية، إعداد وترجمة: إحسان قاسم، دار سوزلر للنشر، استانبول، د.ت.

34. النُّورسي، الاتّحاد الإسلامي، مقتطفات من كليات رسائل النور لبديع الزمان النُّورسي، (د.ن)، (د.ت).
35. النُّورسي، من كليات رسائل النور (12) الإخلاص والأُخُوَّة، ترجمة: إحسان قاسم، دار سوزلر للنشر، القاهرة، ط5، 2008م.
36. النُّورسي، من كليات رسائل النور، الخطبة الشامية، ترجمة: إحسان قاسم، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، ط6، 2009م.
37. الهيثمي: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت).